مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد الثالث03/ العدد الثاني 02 / ديسمبر2025 / ص ص: 01- 23

في تعالق التداولية واللسانيات العرفانية

مقاربة في خلفيات النشأة ومظاهر الاشتغال

The Interconnection of Pragmatics and Cognitive Linguistics:

A Study of the Foundations of Their Emergence and Their Modes of Operation

د.سلطاني محمد/ جامعة عمار ثليجي(الأغواط)

soltanimed1986@gmail.com

الملخص

يهدف هذا المقال إلى محاولة رصد وبيان تجليات العلاقة بين تيارين لسانيين حديثي النشأة تقريبا وهما التيار اللساني التداولي والتيار اللساني العرفاني،وفيه نبيّن أوجه التعالق بين النظرتين سواء على مستوى المبادئ الكبرى والأس الجامعة والخلفيات المؤسسة أو كان ذلك على مستوى تاريخ نشأة العلوم وتطور أفكار المنظورين في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها في النصف الثاني من القرن أو كان على مستوى الجانب الإجرائي من خلال الظواهر اللغوية التي اشتغل عليها هذان التياران اللسانيان، ويحاول أخيرا أن يبين بعد ذلك مدى الوجاهة العلمية والكفاية التفسيرية التي تحققها تطور المعرفة اللسانية عامة والبلاغية والنحوية والدلالية خاصة بدمج وتهجين وتعالق هذين التيارين اللسانيين.

كلمات مفتاحية: التداولية، العرفانية، السياق،الاستعارة، الأفعال الكلامية، الاستدلال.

Abstract

This article aims to examine and elucidate the manifestations of the relationshipbetween two relatively recent linguistic currents, namely pragmatics and cognitive linguistics. It seeks to highlight the points of interconnection between the

two perspectives, whether at the level of overarching principles, shared foundations, and constitutive theoretical backgrounds, or at the level of the historical emergence of these disciplines and the development of their conceptual frameworks within the historical moment of their appearance in the second half of the twentieth century. It also addresses the procedural dimension by examining the linguistic phenomena explored by both currents. Finally, the article endeavors to demonstrate the extent of the scientific validity and explanatory adequacy achieved in the development of linguistic knowledge in general, and rhetorical, syntactic, and semantic studies in particular, through the integration, hybridization, and interrelation of these two linguistic approaches.

Keywords: Pragmatics, Cognitive Linguistics, Context, Metaphor, Speech Acts, Inference.

مقدمة

يعد التياران اللسانيان التداولية والعرفانية من أهم النظريات التي ينطبق عليه التداخل والترابط المعرفي- الذي يعبر عنه بـ"الدراسات البينيةInterdsciplinaires"، فهي ذات علاقات علمية وثيقة بحقول معرفية كثيرة تضم مستويات متداخلة: كالبنية اللغوية، وقوانين الخطاب، والاستدلالات والعمليات الذهنية المتحكمة والمسؤولة عن إنتاج اللغة وفهمها، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال وملابساته...الخ، وكل تلك الظواهر والمستويات ترصدها وتحللها أنساق فكرية معقدة أو متداخلة لأنها تدرس الظاهرة اللغوية في معمعان الاستعمال، وفي علاقتها بالإنسان وبالدماغ بالبشري و كيفية تأثير العمليات الذهنية على إنتاج اللغة وفهمها من جهة، وبالمجتمع وبملابسات الأداء وظروفه ومقاصدهمن جهة أخرى، أي ما يسمى في تراثنا بـ" أحوال التخاطب"و" مقاصد الخطاب" و"علاقة اللغة بالفكر"...ولهذا استقت التداوليةمصادرها المعرفية من عدة علوم" وحقول معرفية أخرى منها الفلسفة التحليلية (نظرية الأفعال الكلامية))وعلوم الاتصال واللسانيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وتحليل الخطاب وغيرها.كما استقت اللسانيات العرفانية أسسها أيضا من عدة علوم متشابكة ومتظافرة أهمها:

علم النفس، والفلسفة، وعلم الأعصاب، والأنثروبولوجيا. كم يجمع النظريتين أيضا أن الأولى (التداولية) جاءت سدا لثغرة أحدثها قصور المقاربة الصوريةالصارمة المقتصرة على الكينونة اللغوية في ذاتها ولأجل ذاتها،كماجاءت المقاربة الثانية(العرفانية) سدّا لثغرة عدمإدراج المكون الدلالي في البنية العميقة خاصة وعدم إعطاء الأهمية اللائقة للمعنى والسياق ولعلاقة البنية بالوظيفة في تفسير الظاهرة اللغوية عند تشومسكي في اللسانيات التحويلية التوليدية خاصة وهو ماسبّب نقصا في الإحاطة بأبعاد الظاهرة اللغوية.

في هذا السياق لم تعد الدراسات البينية نافلة علمية أو ترفا معرفيا ... إذ صارت هذه العلوم تدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة من الظواهر، ولم يعد الانغلاق العلمي ضمن تخصص واحد ضيق، ناجعا في أكثر المباحث، بل شهدت مسيرة العلم في الوقت الراهن انقلابا مفاهيميا متجاوزا مرحلة ما بعد سوسير ومن تلاه من البنيويين، وحتى بعض التوليديين، ولم تعد اللسانيات علما مغلقا داخل حدوده التي رسمها سوسير منذ قرن من الزمان، فانبعث الطرح البيني التكاملي من جديد بعد أن توارى بالحجاب أيام البنيوية والطروحات التوليدية الأولى، وانفتحت الدراسات على أنساق معرفية أخرى تجمعها كل من اللسانيات التداولية من جهة واللسانيات العرفانية من جهة أخرى وهما النظريتان اللتان حققتا إبداعا ثوريا عميقا في مسيرة تطور العلاقة بين علوم الانسان وعلوم اللسان من جهة، وحققتا كفاية ووجاهة علمية رائدة من أجل الإجابة على التفاعل الحاصل بين بنية المقال ومقتضيات المقام من جهة، وبين ما يحصل في اللغة وما يحصل في الدماغ البشري،كما جمعت بين التفاعل الخطابي والتأثير الإقناعي والبعد الفكري والذهني في خيط محكم هو كيفية تأثير العمليات الذهنية على إنتاج اللغة وفهمها واستعمالها.

1-دور البنيوية في نشأة التداولية :

على الرغم من التطور الكبير الذي بلغته اللسانيات في نسختها البنيوية، ولاسيما الأدوات المعرفية والمنهجية التي أمدت بها الدرس اللساني كمفهوم البنية والنسق النظام والثنائيات التقابلية ... أو نسختها التحويلية التوليدية في مفاهيمها التأسيسية كالبنية السطحية والعميقة والكفاية والأداء وفيما مرت به من مراحل وأطوار تطورية أو تصحيحية مختلفة... إلا أن هذا التطور اللساني سواء في جانبه البنيوي أو في جانبه التوليدي التحويلي وقف دون الطموح

التفسيري للظاهرة اللغوية عندما أعرض ونأى بجانبه عن دراسة اللغة في استعمالها الطبيعي، وقصر دراسته على الجانب البنيوي من الكينونة اللغوية "في ذاتها ولأجل ذاتها"، وفي الجانب التوليدي على البعد العقلي التجريدي بعيدا عن معمعان الاستعمال الطبيعي للخطاب الذي تمارس فيه اللغة من جهة، وبعيدا عما تختزنه اللغة من معانٍ حجاجية تأثيرية صريحة ومضمرة، وإيحاءات ضمنية استدلالية من جهة أخرى؛

كما سبق القول فقد وصلت اللسانيات في جانبها البنيوي بمختلف أطيافه ومدارسه-كما يقرر مسعود صحراوي-إلى طريق شبه مسدود نتيجة قصورها وإيغالها في التجريد والصورنة والانغلاق على الكينونة الداخلية للغة، الأمر الذي سبب تمفصلا ثانيا "أدرك قصور هذا التمفصل الأول وعجزه عن أن يكون أداة مفيدة في وصف وتفسير الظاهرة اللغوية كما تتجلى فعلا في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام، وفي التفاعل الحجاجي بشكل خاص"[1]مؤكدا في الوقت نفسه وموضحا أن المنطق الصوري لم يستوفِ الكفاية الضرورية لدراسة الاستدلال والتفاعل الحجاجيين الذين لا يمكن تصورهما من دون ذوات ومن دون لغة تتواصل بها هذه الذوات"[2]

وفي خضم هذين التمفصلين انقسمت ساحة الدرس اللساني إلى اتجاهين في تناول الظاهرة اللغوية عامة اتجاه صوري شكلي واتجاه وظيفي تواصلي، وفي هذا المناخ ظهرت التداولية نتيجة اختراق الدرس اللساني بعلوم خارج الكينونة اللغوية معارف من الفلسفة وعلم النفس وعلوم الاتصال، وبقدر ما استعانت التداولية بهذه المعارف في تطوير النظر إلى الظاهرة اللغوية بقدر ما ساهم ذلك في إذكاء جذوة الصراع بين الاتجاهين السابقين، ومرجحة لكفة لاتجاه الثاني على الأول بما بثته من مفاهيم ورؤى اشتد بها عضد التيار الوظيفي[3].

وتستمد التداولية هذه الرؤى والمفاهيم من الروابط العلمية التي أقامتها بين العلوم من أجل فهم وإدراك أبعاد الظاهرة اللغوية. وما أتاحته من من إبداع ثوري في فهم وتحليل الظاهرة اللغوية،

[1]-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص13

[2] -نفس المرجع، ص14.

[3]-ينظر: نفس المرجع، ص14.

وما حققته من كفاية نظرية ومنهجية وأخرى تفسيرية تطبيقية من خلال قيامها على دراسة الخطاب في سياق استعماله الطبيعي الواقعي، مدمجةً عدة علوم ومعارف في دراسة الظاهرة اللغوية وتحليلها وإدراك علاقاتها الكاشفة عن بعدها التأثيري الإنجازي.. بوصفها تفاعلا متواصلا بين بنية اللغة ومقتضيات استعمالها الخارجية.

فأصبح ينظر إلى اللغة بعد بزوغ فجر المقاربة التداولية إلى الخطاب الطبيعي نظرة تختلف عن المقاربات اللغوية قبلها في كونه خطابا تفاعليا تأثيريا إقناعيا...كما أنها تنظر إلى اللغة أنها مادة للتفاعل بين المقال والمقام، وأن الاستدلال البرهاني الصوري لا يمثل الحقيقة المطلقة كما يتأتى إلا في سياقات خاصة لا تغطي كل مشاغل التفكير الإنساني.

2-أزمة أسس اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية ودورهما في نشأة التداولية والعرفانية:

جاءت التداوليةوالعرفانية كلاهما "سدا لثغرة أحدثها قصور المقاربة الصورية الصارمة عند بعض البنيويين وبعض التوليديين عن الإحاطة بأبعاد الظاهرة اللغوية وجهاتها المتعددة"[4]،وفي هذا السياق جاءت التداولية والعرفانية كلاهما كرد فعل انتقادي على تصورين عما ساد من نظريات قبلها أحدهما تصور سلبي عن الفكر اللساني السائد في القرن العشرين، وخاصة أبحاث اللسانيين الأوروبيين،والتوليديين الصوريين في علم التراكيب في شمال أمريكا، وكذا الدراسات الصورية الحاسوبية التي سادت في شمال أمريكا وأوروبا طيلة النصف الثاني من القرن العشرين، والتصور الأخر إيجابي وهو ماشجعها ويتمثل في اللسانيات الوظيفية بمختلف أطيافها سواء كانت الوظيفية الضعيفة كمدرسة براغ والنظرية السياقية لدى فيرث ونظرية النحو الوظيفي عند سيمون ديك أو كانت النظريات ذات الوظيفية القوية كما هو الأمر عند ظهور اللسانيات التداولية[5]

[4] - صحراوي، مسعود، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن. ط1، 2022، ص17

[5] -سميرة رجب، توظيف اللسانيات المعرفية في تعليمية النص الحجاجي بالسنة الأولى ثانوي جذع مشترك آداب، مجلة العلوم النسانيةّ، المجلد31، العدد3، ديسمبر، 2020، ص66

وهو ما تكفّل به المنظوران التداولي والعرفاني في دراسة اللغة في سياق استعمالها الطبيعي الواقعي[6]من جهة، وفي وفق رؤيته الذهنية الإدراكية من جهة أخرى، وهو منهج لا يقصر دراسته على المعنى المباشر الصريح للظاهرة اللغوية، بل يدرسها في أبعادها الاستعمالية السياقيةالمختلفة محاولا سبر أغوارها وما توحي به من معان ضمنيةكثيفة...لا تتوفر دائما في البنية اللغوية السطحية، كما يدمج عدة علوم ومعارف في دراسة وفهم الظاهرة اللغوية، جاعلا من علوم الإنسان وعلوم اللسان وحدة متكاملة لفهم الظاهرة اللغوية وتحليلها وإدراك علاقاتها الكاشفة عن بعدها الفعلي الإنجازي. بوصفها ثمرة التفاعل بين بنية المقال ومقتضيات المقام، وأهم مخرجات التواصل الخطابي والتأثير الإقناعي، كما يدرس الظاهرة اللغوية في جانبها التصريحي المباشر، وفي جانبها المضمر غير المباشر؛ وهو أحد أهم ما حقّقته التداوليةالعرفانية من آفاق معرفية، ومن كفاية تفسيرية، ومن إدراك عميق للظاهرة اللغوية وفلسفتها.

3-الدراسات البينية ودورها في التقاء العرفانيةبالتداولية:

تعد"التداولية"والعرفانية من أول وأولى العلوم التي ينطبق عليه التداخل والترابط المعرفي- الذي يعبر عنه بـ"الدراسات البينية(Interdsciplinaires)؛ فالتداولية ذات علاقات علمية وثيقة بحقول معرفية كثيرة منها الفلسفة التحليلية (نظرية الأفعال الكلامية)) والحجاج(البلاغة الجديدة)ونظرية الملاءمة والاستلزام التخاطبيوالإشاريات وغيرها، وهي تضم مستويات متداخلة كثيرة: كالبنية اللغوية، وقوانين الخطاب، وقواعد التخاطب، والاستدلالات والعمليات الذهنية المتحكمة والمسؤولة عن إنتاج اللغة وفهمها، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال وملابساته...الخ ،كما أن العرفانية ذات علاقة بالفلسفة وعلم النفس والذكاء الصناعي واللسانيات والانثروبولوجيا، وكل تلك الظواهر والحقول المعرفية سواء كانت في المنظور التداولي أو المنظور العرفانيترصدها وتحللها أنساق فكرية معقدة أو متداخلة لأنها تدرس الظاهرة اللغوية في معمعان الاستعمال، وفي علاقتها بالإنسان وبالمجتمع وبملابسات الأداء وظروفه ومقاصده، أي ما يسمى في تراثنا بـ" أحوال التخاطب"و" مقاصد الخطاب"...ولهذا أدرجت مع "التداولية" -في إطار ما سمّي: الدراسات البينية- حقولٌ معرفية أخرى كثيرة.

[6] -ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16.

4-السياق المشترك لنشأة كل من التداولية والعرفانية:

من أهم الروابط المشتركة بين المنظورين اللسانيين التداولي والعرفاني ثلاثة روابط أساسية أحدهما زمني والآخر منهجي والثالثأيديولوجي، فأما الرابط الزمني فقد ظهرت التداولية في لحظة زمنية تاريخية تكاد تكون متطابقة مع نشأة وظهور العرفانية؛ وهذا ما يؤكده كل آن روبول وجاك موشلار بالقول بأن :"بدايات التداولية زامنت نشأة العلوم المعرفية"[7]، وأما الرابط المنهجي فهو تركيزهما على البعد الوظيفي للغة في التواصل فإن التداولة تربط بين البنية اللغوية ووظيفتها التواصلية ربطا لا انفصام له، وكذلك تفعل العرفانية، وفي هذا يقول حد روادها الكبار وهو رونالد لانغاكر:" التيار المسمى اللسانيات الإدراكية ينتمي إلى التقاليد الوظيفية"[8]، وأما الثالث فكلا التيارين التداولي والمعرفي انبثق من التقاليد الأنجلوساكسونية في فهم اللغة وتحليل الخطاب بصفة خاصة خلافا للتقاليد الفرانكفونية المنغلقة على دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها كما يقرره رائد البنيوية دوسوسير وكما عرف فيما بعد عند أتباعه لاسيما عند أوزفالددیکروو أنسكومبر وحتى بنيفنيستوغيرهم.

فهذه الروابط الثلاثة الخارجية (بمعنى الخارجية عن اللغة)وربما غيرها مما وطد العلاقة بين التيار اللساني التداولي وبين التيار اللساني المعرفي فأصبح الآن في الأدبيات اللسانية من يدمج بينهما كما عند أصحاب نظرية الملائمة سبربروويلسون وغيرهما، وأصبحالمنهج التداولي المعرفي مصطلحا له وجاهته العلمية ومشروعيته المعرفية وأصبح يعرف بأنه "عبارةعنتداخلمتكاملومنسجم،بينمجموعةمنالمناهجوالنظريات،أبرزهاالعلمالمعرفي (الذيانبثقتعنهالتداولياتالمعرفية) واللسانيات المعرفية (الجيل الثالث للسانيات)، وهذا المنهج عبارة عن توظيف مجموعة من آليات ومفاهيم وطرائق العلوم النظرية العلمية كالمنطق والمعلوميات والعلوم الاجتماعية أو الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وغيرها.

[7] -آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر، سيف الدين دغفوس، ولطفي الشيباني،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص43.

[8] -برجيشتنزليش ودافيد كلارك، اللسانيات الإداركية ونشأة اللسانيات، تر: حافظ إسماعيل علوي، مجلة أنساق، المجلد 1 العدد1، كلية الاداب والعلوم، حامعة قطر، 2017، ص271

وهذا التعدد المنهجي للتداوليات المعرفية يجد له منطلقا منهجيا فيما ذهب إليه المفكر الفرنسي "إدغار موران" حيث تعمل التداوليات (التي هي أشكال الفعل والحياة أو هي معرفة كل ما يفكر فيه الآخر) على تحليل هذا الفكر مع ضمان النظام والدقة والوضوح في المعرفة واستبعاد كل النتائج المبتورة ذات البعد الواحد.

إن الاشتغال وفق هذا المنهج المتعدد هو استثمار لبعض المناهج المتخصصة، وإعمال لنتائجها في المحاور والإشكالات التي اقتضتها الإجراءات المنهجية"[9]

5-مظاهر التقاء التداولية والعرفانية:

تعمل التداولية المعرفية على دراسة اللغة في علاقتها بمستعمليها وفق نظام معرفي مختص في معالجةالمعلومة في الذهن البشري على عدة مستويات كالتأويل والتجميع الذي يقابله مبدأ الاستثمار ثم الإنتاج الذييفعله العقل، وقد كانت نظرية الملاءمة مع "سبرير" و"ولسون "أهم ما يميز هذه المرحلة.

تعد نظرية الملاءمة الأكثر تمثيلا للتداولية المعرفية، والتي تتمركز حول مفهوم المردودية أو الإنتاجية ذلك أن الذهن البشري وفق تصور "ولسن "و"سبرير" يسعى إلى تحقيق الملاءمة بين مقاصد المتكلم والنتائج السياقيةتداولية معرفية وهي تنتمي للعلوم المعرفية الإدراكية " التي يحققها المخاطب، وبالتالي فإن نظرية الملاءمة نظريةجمعت بين نزعتين متنافرتين، إذ نقوم بتفسير الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وفيالوقت نفسه نظرية إدراكية استطاعت الدمج بين مشروعين معرفيين، الآول من حقل فلسفة اللغة والنظرية الحوارية "لبول غرايس" والثاني من حقل علم النفس المعرفي ، وبهذا يتبين أن نظرية الملاءمة والتي تعتبر نظريةحديثة في مجال التداولية أضافت عنصرا معرفيا جيدا وهو ملاءمة قصد المتكلم والنتائج السياقية مع المخاطب،وهذا بدوره يتطلب جهدا معرفيا يحقق ميزته إذا كان

[9]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، _ .المغرب، د ط، 2006، ص15، 16

مطابقا للحقيقة، ومن جهة أخرى فإن علم النفس المعرفيسوف يمنح للذات إمكانياتها مع التداولية[10].

5-1-على مستوى الأسس والمقولات والمفاهيم :

نحاول فيما يلي أن نبين مظاهر الاشتراك والتواشج والترابط بين المنظور اللساني التداولي والمنظور اللساني العرفاني على مستوى الأسس الناظمة والمقولات التي تؤطر خلفية كلٍّ منهما بما يسمح به المقام.

5-1-1-مركزية السياق :

يمثل السياق قطب الرحى والأس الركين في اللسانيات التداولية حتى غدا _بكل معطياته-موضوعا رئيسا للدراسات التداولية على اختلاف توجهاتها، كما غدا جزءا من تعريفها؛ فعرفت التداولية بأنها علم الاستعمال اللغوي"[11] وعرفت بأنها "المعنى في السياق"[12] لأنها "لا تدرس اللغة ذاتها ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد وموجه إلى متكلم محدد بلفظ محدد في سياق تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد"[13]، فلذلك ارتبطت التداولية بالسياق ارتباطا وثيقا لكونه المسرح الذي تتمظره من خلاله الأقوال والأفعال، لذلك يرى ماكس بلاك أنه من الواجب أن تسمى التداولية بالسياقية"[14] .

وإذا كان السياق هو مجمل الظروف التي تحيط بالعملية التواصلية التي يجري فيها الكلام على اختلاف صنوفه بين سياق لغوي وسياق موقف وسياق حال وسياق اقتضاء أو إجمالا بين سياق داخلي(لغوي أو مقالي)يتمثل في "كل ما يُحيط بالوحدة اللغوية من عناصر من جنسها

[10]- صالح مسعود وبلقاسمي مليكة، القصد وآلية الاستدلال في نظرية الملاءمة، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 12، العدد2، جامعة الجلفة، 2020، ص150.

[11] -مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص26

[12]-Bublitz, W., & Norrick, N. R. (Eds.). 2011. Foundations of pragmatics. Berlin: De Gruyter, Mouton, p4.

[13] - نفس المرجع ص17

[14]- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1،2000ص57

(صوتم، صرفم، كلمة، جملة، ملفوظ)"[15] وسياق خارجي (مقامي) هو كل ما يحيط بالعملية الخطابية من الظروف المقامية والاجتماعية والثقافي"[16] فقد جاء في معجم تحليل الخطاب لشارودو ومانغينو: "سياق عنصر ما (س) هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر"[17] وهذا الارتباط بين السياق والكلام وجعل الخطابأي خطاب رهنا بالسياق هو في الحقيقة منظور إليه باعتبار أن الخطاب يبنى وينجز ويتكون بالموازاة مع تكون السياق، أي أنه ليس محددا مسبقا، وف الوقت ذاته يمكن أن يتغير بحسب المعارف[18].

كانت هذه أهمية السياق ودوره في المنظور التداولي أما إذا انتقلنا إلى المنظور العرفاني فإننا يمكن أن نقول أن السياق بقيت له ذات الأهمية ولكنها تم تحويرها بما يتناسب مع أسس ومبادئ المنظور العرفانيحيث عُرّف بأنه "النهج يدمج فيه مفهوم السياق الاجتماعي ضمن مفهوم السياق المنطقي، أي مجموعة المعارف (واعية أم غير واعية) اللازمةللمرسل إليه لتفسير الملفوظ الحالي...يتكامل النهج الأول مع التداولية الإدراكي"[19].فالملاحظ هنا أن أنه اعتمد تعريف السياق في المنظور التداولي وأضيف إليه مفهوم السياق المنطقي الذي يعنى بإيجاد الانسجام بين المعارف الواعية في الذهن مع ما يحيط بالخطاب من ظروف مقامية تتناسب مع الاستدلال الذهني العرفاني، ويرتقي العرفانيون درجة في تعريف السياق حتى يتلاءم مع المعطيات العرفانية الجديدة، ويصفان هذا الارتقاء وتلك الإضافة وصفا صريحا بأنها " التفكير الجديد في السياق"[20] مقررين أنه يتحدد في إطارين هما بمثابة التعريف للسياق وهو قولهما:السياق أولها "أنالتمثيلات التي يحملها المتحدثون عن السياق، وهي تمثيلات يمكن أن يشترك فيهاالمساهمون في عملية التواصل ويمكن أن لا يتشاركوا فيها"[21] وأما الخاصية الثانية فهي"أنّ الخطاب نشاط مشروط

---

[15]-باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار .سيناترا، تونس، 2010، ص 122

[16]- ينظر: نفس المرجع، ص122

[17]-باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، ص133.

[18]-ينظر:إشراق مسلم، مصطلح السياق(context) من منظور التداولية العرفانية، مجلة الصوتيات،المجلد/91العدد19 رمضان 9111هـ / أفريل 2023، 163

[19]- جوليان لونجي وجورج إيليا سيرفاتي، قاموس التداولية، تر: لطفي السيد منصور، دار الرافدين، ط 1، بيروت، لبنان، 2020، ص71

[20]-ينظر: باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، ص133

[21]-نفس المرجع، ص133

بالسياق، ومغير لذلك السياق في الآن نفسه"[22] وواضح أن المحدِّدين الذين جعلهما صاحبا معجم تحليل الخطاب والتركيز على العناصر الجديدة التي أضيفت إلى تعريف السياق وخصصت من عمومه وقيدت من إطلاقه، وهي التأكيد على التمثلات في المحدد الأول وهي التي تقاسمها كل من المتكلم والمخاطب سواء اتفقت هذه المعارف أم تفاوتت أم اختلفت، وأما العنصر الثاني الذي أضافه العرفانيون إلى ما كان عند التداوليين فهو تغيير السياق أي يتغير السياق حسب التمثلات الذهنية عند كل من المتكلم والمخاطب؛ فالسياق عنصر قارّ محايد، وإنما المخاطب هو الذي يجعله يتناسب مع الخطاب بما يتيحه من معلومات جديدة تتلاءم مع معارفه وتصوراته عن المعنى المقصود، ولذلك أصبح السياق أكثر تحديدا بإضافة عنصر السياق الإدراكي المعرفي (العرفاني) بعدما ما كان السياق مفهوما فضفاضا أوصله بعضهم إلى أكثر من ثلاثين نوعا أصبح أو تم التركيز على المعنى المعرفي من السياق وهو الذي يختص بالاستدلال، والأشكال الأخرى من التفكير، ويشملالسياق الإدراكي المعرفي التمثيلات الذهنية، والقضايا المنطقية، والافتراضات السياقيةوالحقيقية، والميتا تمثيلات"[23]، وهنا نرى أن إضافة مفهوم التمثيلات الذهنيةوالقضايا المنطقيةوالافتراضات السياقية والحقيقية والميتا تمثيلات كلها عناصر عرفانية تم إدماجها في مفهوم السياق.

يضاف إلى ما سبق أن أثر السياق له طبيعة عرفانية يقول سبيربر وولسون: "إن الأثر السياقي هو أثر عرفاني. فلا قيمة للسياق في ذاته، بل فيما يستتبعه من تغيّرات تطال فكر الفرد[24]، إذ حسب سبربر وويلسون فإن "الآثار السّياقيّة في الفرد هي الآثار العرفانيّة... إن الأثر العرفانيّ...أثر سياقيّ يحدث في نظام عرفانيّ"[25].

وما نخلص إليه من عرض أهمية السياق ومركزيته في كل من المنظور التداولي والمنظور العرفاني هو أن السياق عنصر ضروري وهام ومشروط أساسي في تفسير الظاهرة الخطابية في

---

[22]-نفس المرجع،ص133

[23]-هوانغ، يان، معجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد-المتحدة، بيروت لبنان. ط1، 2020، ص137

[24]-صابر الحباشة، المنظوران العرفاني والتداولي آفاق التهجين، ضمن دراسات في اللّسانيّات العرفانيّة الذّهن واللّغة والواقع، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ط1، 1441، 2019، ص147

[25]-Dan Sperber and Deirdre Wilson. 1995. Postface to the Second Edition of Relevance: Communication and Cognition. Oxford: Blackwell.

كل تجلياتها؛ فلا كلام بغير سياق ولافهم للخطاب بغير سياق ولا استدلال معرفي بغير سياق، ومن ثَم تشترك التداولية والعرفانية في هذا العنصر الهام،إذ لما كان" المُعوَّل في الدراسات العرفانيّة على تنشيط العمليّات الذهنية في إنتاج الدلالة، فإنّ الدراسات التداولية تركّز على أهمّيّة السّياق في إنتاج المعنى"[26] ومن ثم يكون الفصل بين ما هو سياقي تداولي عما هو ذهني عرفاني فصلا إجرائيا لأنه لا مجال لعزل البيئة الذهنية عن التفاعلات الواقعية إلا عزلا بهدف الاختبار والدراسة لأن"الأقوال والخطابات تُحلَّل عرفانيًّا وتداوليًّا في ضرب من الاسترسال والتراكب"[27].

5-1-2-البعد الاستدلالي :

الاستدلال في التداولية يقصد به مجموعة الآليات التي يتوسل بها إلى إدراك المعنى الضمني في التواصل، حيث يقوم المتلقي بتوظيف المعلومات اللغوية وغير اللغوية (المقامية) لفهم قصد المتكلم، حتى لو لم يُصرح به صراحة، وتعتمد هذه العملية على مبادئ غرايس التعاونية؛ حيث يُفترض أن المتكلم يلتزم بكفاية في التواصل، ويفترض المتلقي وجود معنى له قول يتعلق الاستدلال بآلية استنتاج المعنى، وله ملاءمة بما يفهمه من أرضية مشتركة بينه وبين المتكلم والمتلقي وظروف إنتاج الخطاب ... لذا يؤكد شارودو ومانغينو على أن "المتكلّم والمخاطب يتوخّيان، كلاهما بطريقته، استدلالات تسمح للأول بوضع معنى ضمنيّ فيما ينتجه من ملفوظات صريحة، وللثاني باستخراج المعانيالضمنيّة الخاصّة به حسب ما يقيمه من علاقات بين هذه الملفوظات والمعطيات التيتحصّل عليها من السياق ومقام التلفّظ"[28]

أما في المنظور العرفاني فإن الغاية من الاستدلال هو "توليد التأثيرات العرفانيّة السياقيّة بكيفيّة صيرّت الضمنيّ منشطا للاستدلال من خلال الخطاطات المتشابهة التي عقلت حركيّته"[29]. ويتحكم في هذا الآلية الاستدلالية كلها ويؤثر فيها "مبدأ المناسبة بوصفه مفهوما يختزل القول تقبلا وتأويلا في المقام الذي لم يعد مكوّنا معطى، بل أصبح مقومّا أساسيّا ديناميكيا يتحدّد

[26]- صابر الحباشة، المنظوران العرفاني والتداولي آفاق التهجين،ص147

[27]- نفس المرجع، ص147

[28] -باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، ص301

[29]- لطفي الشيباني، الاستدلال في نظرية الملاءمة، مجلة **أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة جامعة باتنة 1 الجزائرالمجلد 05 العدد 01)** مارس، **2023)**ص10

بادعاء المناسبة القصوى التي يستوجب تحصيلها مسارا استدلاليّا يعتمد مدخلين؛ الشكل القضويّ من جهة وضمنيات القول من جهة أخرى"[30]

ولعل أهم ما يميز مفهوم الاستدلال عند العرفانيين ولا سيما سبربر وويلسون ويجعله أنه ليس استدلالا استنباطيا صارما، وإنما هو استدلال حجاجي غير برهانيّ يقوم على عمليّة عفويّة ويحتكم إلى المناسبة[31]، وهذا ما صرحا به سبربروويلسون بوضوح قائلين:" أنّ" عمليات الاستدلال التي تتدخل في الفهم غير برهانيّة"[32] وهو ما يشبه بل يكاد يماثل الرؤية التداولية للحجاج من أنه استدلال احتمالي ويستند إلى المقام. ويعد اعتبار هذه المرونة في مفهوم الاستدلال معيارا أساسيا مساعدا ومناسبا في ذات الوقت للتأويل العرفاني للأقوال بعيدا عن الصرامة المنطقية لأنه متغير باستمرار وهذا حتى يكون "قادرا على قراءة الأشكال المنطقيّة بالحفظ والمحو، قراءة تقارب خصائصها الشكليّة وتدونها في ذاكرة العدّة لتحصيل قواعد الاستنباط الموجودة في المفاهيم"[33]

إلى هذا الحد يتشابه مفهوم الاستدلال بين المنظور التداولي والمنظور العرفاني؛إذ إنّ كليهما يوظف الاستدلال من أجل استنتاج المعنى المقصود من خلال فهم الظروف المحيط بالقول من معارف مشتركة وسياق مقامي وظروف التخاطب... لكن هذا التماثل ليس تاما في المنظورين الإنسانيين إذ إن مفهوم الاستدلال في المنظور العرفاني ولاسيما سبربر وويلسون هو "عمليّة معقّدة تتضافر فيها المعارف الموسوعيّة والمعارف المنطقيّة أوّلا، وتتم بطريقة عفويّة متكررة وفي نسقيّة لا يمكن التكهن بها أو بنتائجها. وتتأسس هذه الآليّة على قواعد تكون مسجلة في المداخل المنطقيّة للمفاهيم"[34]

وهذا التعمق في مفهوم الاستدلال وتأطيره بمجموعة من قواعد الاشتغال هو في الحقيقة تعميق للبحث التداولي وإضافة نوعية من المنظور العرفاني تضاف إلى يشتد به عضد الرؤية التداولية عامة في إيجاد آلية محكمة لتوظيف آلية الاستدلال توظيفا صحيحا وتطبيقها على

[30] - نفس المرجع، ص10

[31]- ينظر: نفس المرجع، ص10

[32]-Sperber(Dan)&Deirdre(W) ;(1989), La Pertinence. Communication et cognition, Paris, Minuit.P106

[33]-ibid, p150

[34]-لطفي الشيباني، الاستدلال في نظرية الملاءمة، ص11

الوجه الذي تبلغ به الغاية القصوى في إدراك القصد من المعنى الذي يساق له قول المتكلم أي تحقيق المناسبة القصوى[35] بتعبير سبربروويلسون

وتكمن فائدة الاستدلال "من خلال إعطائه مفهوما مرنا حجاجيا بعيدا عن الصرامة البرهانية فيأنه يوفر "كفايات نظريّة وآليات إجرائيّة، وينهض بوظائف منها استخلاص مقتضيات القول ومستلزماته السياقيّة وفق قواعد مضبوطة قامت على أنقاض نظريّة غرايس، ومنها تغذيّة الكفاية الموسوعيّة،وتوليد الخطاطات المشابهة"[36]، هذا التوليد وتلك التغذية وذلك الاستخلاص تم استثماره في دراسة الاستعارة ودراسة السخريّة،وفيمحاولة تقديم تصنيف جديد للأعمال اللغويّة.

5-1-3-تأويل الدلالة غير الطبيعية :

تتموضع بحوث غرايس في صميم البحث التداولي ولذلك يعد من المؤسسين للدرس التداولي بعد أوستين وما كان ذلك إلا لاهتمامه المركز وتشديد الدائم على الأخذ يعين الاعتبار على على نوايا المتكلم وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا

وينطلق غرايس من التفريق بين الدلالة الطبيعية والدلالة الاصطلاحية من أنّ الدلالة الطبيعية تعتمد العلاقات السببية وقوانين الطبيعة، أما المعنى غير الطبيعي فيعتمد نية المتحدث أو القصد اللغوي(intention) والاصطلاح (convention)[37] وجعل كلمة "يعني" من أهم المؤشرات على الدلالة غير الاطبيعي (الاصطلاحية) بوصفها مقابلا للدلالة الطبيعية؛إذ يعرف غرايس الدلالة غير الطبيعية بأنها هي" أن القائل قد قصد شيئا من خلال جملة معينة؛ فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم المخاطب لنيته"[38].

[35]_

[36] -لطفي الشيباني، الاستدلال في نظرية الملاءمة، ص13

[37] -صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، مجلس النشر العلوم حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الحولية25، الرسالة 230، 2005، ص43.

[38] -آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص53

2-5-على مستوى الظواهر المدروسة :

بعدما بيّنا بعضا مما تشترك فيه اللسانيات التداولية مع العرفانية(المعرفية أو الإدراكية) على مستوى الأسس والمبادئ والمقولات الكبرى يحسن أن ننتقل هنا إلى مستوى أخر من مجال الاشتراك والتواشج بين هذين التيارين اللسانيين ألا وهو المتمثل في مظان الاشتراك على مستوى الظواهر اللغوية المدروسة كالاستلزام التخاطبي ومتضمنات القول والاستعارة بوصفها ملفوظا مجازيا، والافعال الكلامية غير المباشرة لأنها تتشابه مع الضمني بالإضافة إلى الحجاج على أننا نكتفي بإشارات سريعة طلبا للاختصار وما تقتضيه وجازة هذا البحث.

1-2-5- الاستلزام التخاطبي ومتضمنات القول :

عندما يتحدث أي متكلم للغة في سياق تواصلي معين فإنه يصرح بكميات من المعلومات الصريحة التي لايحتاج فيها المخاطب إلى بذل جهد تأويلي من أجل فهمها،ولكن هذه المعلومات الصريحة لاتكون كذلك في أي تفاعل كلامي سواء كان شفهيا أو كان مكتوبا لأنها رغم انبنائها على التصريح في الظاهر؛ فإنها تحمل معها كمية من المعلومات ذات المعاني الضمنية الناتجة عن الافتراض أو الاستلزام أو التضمين أو الإشارة أو التورية أو غير ذلك من متضمنات القول وفي هذا الصدد تصريح أوركيوني أن "أنه يحدث في الواقع أن ملفوظا يشحن مرتين أو عدة مرات على مستوى التلفظيالإنجازي،فتضاف إلى البراغماتية قيم كلامية مشتقة"[39]

2-2-5-الأفعال الكلامية غير المباشرة :

على الرغم من أن نظرية أفعال الكلام هي نظرية تداولية الأصل إلا أن لها في المنظور العرفاني جانباً من الاهتمام كبيرا ؛ فقد خصص صاحبا نظرية الملائمة [40]حيزا هاما من كتابهما لمعالجة ودراسة الأفعال الكلامية من الوجهة العرفانية أو لنقل الوجهة الجامعة بين المنظور التداولي والعرفاني؛ فخصص لها فصلا تصويرا نقديا قدما فيه، حيث اختزل تصنيف الأفعال الكلامية إلى ثلاثة تصنيفات بعدما كانت خمسة وهي فعل القولإنّ وفعل الأمربـ وفعل الاستفهام عن ويبدو هذا الاختزال أكثر تقييدا ومبنية بناء أشد التصاقا بالتركيب وبهذا الاعتبار يكون "عمل

[39]Kerbrat-Orecchioni, C. (1998). *L'implicite* (2éd), Paris, Armand Colin-P66

[40]-تعد نظرية الملاءمة عند دانسبربروديردي ولسون من أهم النظريات التي تتعالق فيها التداولية باللسانيات العرفانية سواء على مستوى الأسس النظرية أو على المستوى الإجراء وعناصر التحليل:ينظر:نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك دان سبربروديردیولسون ، تر: هشام عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

القول إنّ تعميما لصنف الخبريات، ويكون فعل الأمر بـ تعميما لصنف التوجيهيات، ويكون الاستفهام عن صيغة استفهامية"[41].

5-1-3-الاستعارة التصورية :

منذ أن دشّن أرسطو كتابه الخطابة جاعلا الاستعارة إحدى أهم الأساليب البلاغية تأثيرا واهتماما، منذ ذلك الحين والأذهان تتفق عن الأفكار الخلاقة والإبداعات النادرة حول البلاغة عامة، ولاسيما البنت الأثيرة لديها وهي الاستعارة، وبذلك تبوأت هذه الأخيرة المكانة الكبيرة في حقل الدراسات البلاغية؛ لما تتضمنه من فعالية في تشكيل الخطابات على اختلاف أنواعها، وهيكلة أنسجتها وتحقيق جماليتها الإمتاعية والإقناعية على السواء.

هذا، وعلى الرغم من الفتح الكبيرالذي فتقه أرسطو في دراسته حول الاستعارة وإعطائها أهمية مضاعفة في تحليله للخطابة والشعرية، إلا أن علماء العربية قد أثروا مباحثها بجهد غير منكور، مدفوعين في ذلك بالبحث في بيان طبيعة الإعجاز القرآني وما فتحه لهم من آفاق بلاغية عميقة.

على أن الفتح الكبير والإبداع الثوري الهائل كان بعد بزوغ فجر الدراسات اللسانية الغربية، ولاسيما ما أبدعته اللسانيات التداولية والعرفانية (المعرفية) من مفاهيم ومقالات وأسس تغيرت معها النظرة الاستعارة تغيرا كليا، فبعد ما انهالت عليها رمال نسيان عصر الانحطاط في البلاغة العربية من جهة، وسيطرة البعد الزخرفي التحسيني في البلاغة اللاتينية الرومانية من جهة أخرى، وهو الأمر الذي تحولت معه الاستعارة عند كثير من المتأخرين من التفاعل الخِطابي الحي إلى مقولات منطقية جامدة، واختُزلت في قواعد مدرسية شكلية.

حتى شهدت التجديد الأهم الذي أعاد إليها حيويتها التفاعلية والاقناعية والمعرفية، كما أعاد لها طموحها التفسيري للخطابات لتكون من أهم مباحث البلاغة وتحليل الخطاب وقد استفادت الاستعارة من الدراسات البينية والتداخل الفكري المفاهيمي بين علوم الإنسان وعلوم اللسان، وما أفرزه ذلك من أجهزة مفاهيمية وإجرائية، واصفة ومحللة، وما ترتب عليه من تكامل الأدوات

[41]- صالح مسعود وبلقاسمي مليكة، القصد وآلية الاستدلال في نظرية الملاءمة، ص152

المعرفية المختلفة في إدراك الطاهرة اللغوية عامة ومنها البلاغية ولاسيما فلسفة الاستعـــــــارة، وإدراك أبعادها المعرفية والإمتاعية والاقناعية.

فقد عالج التداوليون الاستعارة وركزوا على أهمية طرفي الخطاب في فهمها وتفسيرها وإدراك أبعادها الحجاجية والتداولية والجمالية، فلا بد من فهم مقاصد المتكلم وكذلك تأويل المتلقي للاستعارة ولذلك قرر سيرل أن أي دراسة للاستعارة يجب أن ينطلق البحث في طرفي الخطاب أي الباث والمتقبّل وتحديدا المتكلم والمخاطب منها إلى أن " نظرية الاستعارة تتمحور حول كيفية فهم السامع للتلفظ الاستعاري للمتحدث"[42] وواضح من هذا النص أدى سيرل التركيز الواضح وإعادة الاعتبار للمخاطب بعدما كان للمتكلم اليد الطولى في فهم الاستعارة وإدراك أبعادها، ومن ثم فإن "نشأة الاستعارة ليست رهينة الباث فحسب، بل هي قائمة على نظامية بين الطرفين، فهي خاضعة لعقد ضمني بينهما"[43].

والجدير بالذكر هنا من خلال التركيز على طرفي الخطاب عند سيرل هو إبراز دور السياق في فهم الاستعارة إذ هو الأساس والمعيار الذي يحدد لنا فعهم المعنى الاستعاري لذلك ينحى باللائمة على طريقة تناول النظريات للاستعارة فانتقد النظرية التي تجعل الاستعارة قائمة على المشابهة وكذلك تلك التي تجعلها قائمة على التفاعل كما وتلك القائمة على النقل، مبينا خطأ الأولى بأنها خلطت بين المعنى الجزئي وبين ما هو مستقى من السياق، منبها في ذات الوقت أن كثيرامن الاستعارات لايتبين معناها إلا بإرجاعها إلى سياقها و مال الفظ إلا وسيلة تترشح عن السياق الذي قيلت فيه الاستعارة، إذ المشابهة لاتتبين إلا بالسياق، كما يبرز دور السياق في انتقاده لنظرية التفاعل في فهم وتحليل الاستعارة لأنها بتركيزها على إبراز مبدأ التفاعل بين البؤرة والإطار أهملت السياق بتركيزها على دور السياق التلفظي في تشكيل الاستعارة[44]. وأما التي جعلت مبدأ النقل هو المفسر للاستعارة فلأنها خلطت بين معنى الجملة ومعنى المتكلم.....وبهذا الانتقاد الذي وجهه سيرل للنظريات التي تناولت الاستعارة و أهملت دور طرفي الخطاب في فهم الاستعارة وتحليلها ....يفتح الطريق لإدارك أهمية تناول الاستعارة من جهة إدراك أهمية السياق في فهمها من أجل ذلك وضع سيرل مبادئ مؤسسة ومراحل متدرجة لفهم الاستعارة أهمها فكرة التأويل

[42]John Searle،Sens et expression, paris ; minuit1982. P123

[43] -المنجيالقلفاط، الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفاني، حوليات الجامعة التونسية، العدد57، 2012، ص312

[44] -نفس المرجع، ص313

الاستعارة من خلال معرفة ما إذا كان المعنى يقتضى تأويلا استعاريا أما لا، ومعرفة الأرضية المشتركة بين المستعار له والمستعار منه، أما المراحل فهي البعد الاستراتيجي الذي يتتبعه المخاطب لوجود المعنى الاستعاري من عدمه، والمرحلة الثانية إذ كان هناك تأويل استعاري وتتمثل في اتباع تلك المبادئ التأويلية السالفة الذكر، ليخلصإلى المرحلة الثالثة التي تتمثل في حصر مجال المعنى المجازي لفهم المعنى المقصود.

وعلى الرغم الإضافة التي قدّمها سيرلالمتمثلة في تركيزه على السياق في فهم الاستعارة وفي انتقاده على من أهمل السياق في نظريات الاستعارة قبله إلا أنه لم يرتفع بهذا التركيز وذاك الانتقاد إلى الابداع في ادراك عمق أبعاد الاستعارة كما كان المنتظر منه مثلما فعل -بعمقه المعهود -مع الأفعال الكلامية ولاسيما الأفعال غير المباشرة التي تلتقي مع الاستعارة في انبنائهما معا على البعد المجازي والتأويل والسياق لفهم البعد الإنجازي للغرض المتضمن في القول؛ فلم يصل إلى الأفق الذي وصلإليه أصحاب نظرية الحجاج ولاسيما بيرلمان وكما أدركها العرفانيون على يد جورج لايكوف ومارك جونسون.

فلقد أدرك الحجاجيون أن مهمة الخطاب لا تقوم على وصف العالم فحسب، وإنما تقوم على تحفيز المخاطب على سلوك ما، أو دفعه إلى تغيير سلوك ما على الأقل تغيير الاعتقاد الباعث على ذلك السلوك أو الكابح له،إذ"إن مجرد التفكير في تلقين المخاطب صورة ما، ولو كانت عاطفية، عن الأشياء فإننا نكون بصدد الحجاج، ومن هنا تكون الاستعارة ليس لجمالها ولكن لفعاليتها الإقناعية"[45]

على أن النقلة النوعية التي جعلت الاستعارة في قلب البعد التداولي من جهة، وجعلتها ذات وظيفية إقناعية تأثيرية كبيرة عند بيرلمان ليست في طريقة فهم الاستعارة ضمن مبدأ المشابهة أو مبدأ التفاعل أو النقل، وإنما في تصنيفها ضمن مبدأ منطقي/ حجاجي جديدفي تصنيف الحجج وهو الحجج المبنينة للواقع أي المؤسسة له، ومن ثم انتقلت الاستعارة من أن تكون مشتقة وملتقطة من الواقع إلى أن تكون مؤسسة له كاشفة عنه؛ وبذلك انتقلت من أن تكون من الحجج المؤسسة على الواقع إلى تلك الحجج التي تعيد بناء الواقع، وهنا تكمن النقلة الكبرى الفارقة لأنها "هذا النمط هو الأخطر من بين كل الأنماط الحجاجية؛ إذ إنها تتفادى تصيد الترابط الواقعي بين

[45] -محمد الولي، **الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايمبيرلمان**، بحث منشور على الانترنت ص6

الأشياء. وتتخطى ذلك بابتكار واقع جديد على أنقاض الواقع القائم ليس بالاقتصار على إثبات هذه الواقعة في حد ذاتها. بل بالربط بينهاوبين حدث آخر غير متعايش معه داخل المكان وغير متعاقب معه داخل الزمن، بل بالربط بين حدثين متباينين ولكنهما متشابهان"[46] ؛ إذن فقد نظر إلى الاستعارة في المنظور التداولي من جهة "قوتها الحجاجية ووقعها الاقناعي الكبير كما تؤكد مقصدية المتكلم، وتفرض الاستلزام الحواري بين المتخاطبين[47]،

غير أن بيرلمان لم يكتف بهذه النقلة النوعية للاستعارة من خلال التركيز على بعدها الاقناعي التأثيري بل اقترب من البعد المعرفي الذي شهد ابداعا ثوريا في فهم الاستعارة وإدراك عمقها وفلسفتها ولمح اليه من خلال طرحه لمفهوم التناسب وهوذو علاقة بالبعد المعرفي فبرلمان بهذا الطرح كاد من الطرح العرفاني على ضربة معول منخلال إشارته الى فكرة التناسب إلا أن الابداع الثوري جاء على يد المنظور العرفاني ولاسيما عند لايكوف وجونسون الذين طرح مفهوما ثوريا جديدا للاستعارة يقوم على تغيير الرؤية اتجاهه من كون الاستعارة ظاهرة لغوية ظغلى كونها ظاهرة ثقافية تجريبية ونتاجا ثقافية شديد الصلة بتجارب البشر االيومية[48]" منتقدا بشدة النظرة التقليدية للاستعارة القائمة على اعتبار الاستعارة وبعدها مادة لغوية لفظية ولاصلة لها بالفكر وبالحياة وكذا اعتبارها ألصق باللغة الأدبية منها بلغة التواصل اليومي وكذا اعتبار الكثير منها ميتا وأخيرا اعتبارا من المحسنات الزخرفية المجازية [49]

وقد سعى خلافا للنظرية التقليدية للاستعارة إلى بناء نظرية جديدة ثورية تعتبر الاستعارة " حاضرة في جميع مجالات حياتنا اليومية، وبالتالي فهي ملازمة لخطاباتنا اليومية كذلك"[50]، هذه الرؤية الجديدة تربط الاستعارة بالبعد التصوري للحياة والوجود والاشياء من حولنا فهي إذن" فهم مجالالهدف بحكم التجربة والثقافة؛ أي إن اشتغالمجالوفق مجال آخر أحدهما يشكل مجال مصدر وآخر هو الذهن بواسطة التجربة والإسقاط كفهم المعنويات بواسطة مجال

[46] -السابق، ص1

[47]-دورين نصر ووعد آل حسن، تحولات الاستعارة في النظرية المعرفية واللسانيات التداولية، مجلة المنافذ الثقافية، العدد49، 2025، ص5

[48]-السابق، ص314

[49]- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص21

[50]- نفس المرجع، ص196

الماديات؛ كتجربة الحب بالرحلة، وتجربةالجدال والأفكار بمفهوم الحرب، والزمن بتجربة المال وغيرها[51].

فقد ربط هذا التصور الجديد للاستعارة بين بينها وبين النشاط الذهني من خلال الاستعانة بعلم النفس فتوصل لايكوف وجونسون إلى "وجود استعارات لاواعية هي نتاج اليد الخفية للذهن اللاواعي"[52]وفهم الاستعارة بهذه الرؤية المعرفية التصورية (وفق المنظور العرفاني) وبتلك البعد الحجاجي الأقناعي التأثيري للاستعارة (وفق المنظور التدوالي) احتلت الاستعارة رؤية محورية في حياتنا وخطاباتنا اليومية فهي نتاج تفكير تواصلي ذهني- نفسي إقناعي تأثيري في معمعان الحياة وليس فقط في البعد الخيالي عند الأدباء.

خاتمة:

لعل خير ما نختم به هذا البحث من خلال فحص العلاقة بين اللسانيات التداولية واللسنيات العرفانية هو مدى أهمية هذا التواشج والترابط الكبير بين الحقلين أو المنظورين سواء كان على مستوى الأسس والمبادئ الناظمة لهذين التيارين أو كان على مستوى البعد الأجرائي التطبيقي من خلال تقاطع بل تشابه يصل حد التماثل بين وجهات النظر في الكثير من تناول الظواهر اللغوية عامة والتركيبية والبلاغية والدلالية خاصة، ولعل أهم ما قرّب بين العلمين هو تركيزهما النظري على ضرورة تواشج العلوم وتشابكها وتكاملها في دراسة الظاهرة اللغوية فيما أصبح يعرف بالدراسات البينية ، وكذلك الأنتقال من دراسة علوم الاسان إلى دراسة علوم اللسان في ضوء علاقتها بالإنسان فانتقلت اللغة مع هذين المنظورين من بنية ونسق ذات كأجراءات داخلية وذات كينونة مستقلة محايدة إلى بنية لايمكن فهمها إدراك أبعادها إلا في ضوء علاقتها بمقام الاستعمال وظروف التخاطب (المنظور التداولي، وفي ضوء علاقتها الإنسان ذهنيا وتفسيا في المنظور المعرفي، هذا التواشج بين التيارين اللسانين نعتقد أنه بلغ ومن النضج المعرفي والوجاهة العلمية التفسيرية، بإمكانه أن يحقق آفاقا نظرية وإجرائية هامة وجاهةعلمية كفايةً تفسيريةً قيمة، يمكن إذا أُحسِن الدمجُ والتعالقُ بينهما أن يؤتي ثماره اليانعة في فهم اللغة وإدراك أبعادها

[51]- ينظر: منى حفصي وعبد السلام شقروش، الاستعارة التصورية وفهم العالم رؤية في المفاهيم الإجرائية ونظام الذهن، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 10، العدد4، 2021، ص95

[52]-: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص14.

الظاهرة والخفية من خلال ربطها بين بنية النص ومقتضياته السياقية من جهة، وربطها بين تلك البنية اللغوية والتواصلية وبين أبعادها الذهنية المعرفية من جهة أخرى.

قائمة المراجع:

1. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
2. مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن. ط1، 2022.
3. سميرة رجب، توظيف اللسانيات النعرفية في تعليمية النص الحجاجي بالسنة الأولى ثانوي جذع مشترك آداب، مجلة العلوم النسانيةّ، المجلد31، العدد3، ديسمبر، 2020.
4. آن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر، سيف الدين دغفوس، ولطفي الشيباني،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003،
5. برجيشتنرليش ودافيد كلارك، اللسانيات الإداركية ونشأة اللسانيات، تر: حافظ إسماعيل علوي، مجلة أنساق، المجلد 1 العدد1، كلية الاداب والعلوم، حامعة قطر، 2017
6. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، _المغرب، د ط، 2006.
7. صالح مسعود وبلقاسمي مليكة، القصد وآلية الاستدلال في نظرية الملاءمة، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 12، العدد2، جامعة الجلفة، 2020.
8. علي آيتأوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1،2000.
9. باتريك شارودو ودومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دارسيناترا، تونس، 2010.
10. إشراق مسلم، مصطلح السياق(context) من منظور التداولية العرفانية، مجلة الصوتيات، المجلد/91العدد19 رمضان 9111هـ / أفريل 2023.
11. جوليان لونجي وجورج إيليا سيرفاتي، قاموس التداولية، تر: لطفي السيد منصور، دار الرافدين، ط 1، بيروت، لبنان، 2020.

12. هوانغ، يان، معجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد-المتحدة، بيروت لبنان. ط1، 2020.

13. صابر الحباشة، المنظوران العرفاني والتداولي آفاق التهجين، ضمن دراسات في اللّسانيّات العرفانيّةالذّهن واللّغة والواقع، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ط1، 1441، 2019، ص147

14. لطفي الشيباني، الاستدلال في نظرية الملاءمة، مجلة أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة جامعة باتنة 1 الجزائرالمجلد 05 العدد 01) مارس، 2023:

15. صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، مجلس النشر العلوم حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الحولية25، الرسالة 230، 2005، ص43.

16. صالح مسعود وبلقاسمي مليكة، القصد وآلية الاستدلال في نظرية الملاءمة،

17. المنجيالقلفاط، الاستعارة في المنظورين التداولي والعرفاني، حوليات الجامعة التونسية، العدد57، 2012،

18. محمد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايمبيرلمان، بحث منشور على الانترنت ,

19. دورين نصر ووعد آل حسن، تحولات الاستعارة في النظرية المعرفية واللسانيات التداولية، مجلة المنافذ الثقافية، العدد49، 2025.

20. جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1996.

21. منى حفصي وعبد السلام شقروش، الاستعارة التصورية وفهم العالم رؤية في المفاهيم الإجرائية ونظام الذهن، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 10، العدد4، 2021.

المراجع الأجنبية

1-Dan Sperber and Deirdre Wilson. 1995. Postface to the Second Edition of Relevance:Communication and Cognition. Oxford: Blackwell

2-Bublitz, W., & Norrick, N. R. (Eds.). 2011. Foundations of pragmatics. Berlin: De GruyterMouton, p4.

3-Kerbrat-Orecchioni, C. (1998). *L'implicite* (2éd), Paris, Armand Colin-P66

4-John Searle،Sens et expression, paris ; minuit1982. P123